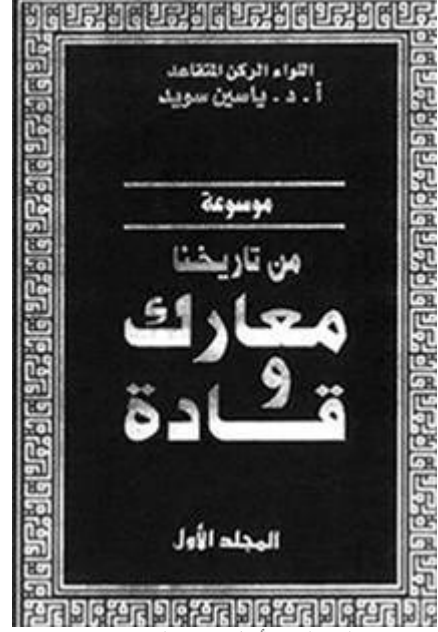


موسوعة اللواء د. ياسين سويد «من تاريخنا معارك وقادة»

تجمع بين صفتين: علم التاريخ والعلم العسكري

جريدة اللواء، الثلاثاء، 17 شباط 2015 الموافق 28 ربيع الآخر 1436 هـ



غلاف المجلد الأول من الموسوعة

عبد الرؤوف سنّو\*

مرة بعد أخرى يفاجئنا اللواء الركن الدكتور ياسين سويد بنتاج علمي مميّز. كان يقول: هذا مؤلّفي الأخير، كلما انتهى من تأليف كتاب. لكننا كنا نرى مولوداً جديداً له بعد فترة. وهذه ميزة ياسين سويد الذي نفتخر به. صحيح أنه مؤرخ يبحث في العمق وبموضوعية، وهما ميزتان يحتاج المؤرخ لهما لتقديم أحكام منصفة مستندة إلى التحليلات، وصحيح أن له أكثر من 50 مؤلفاً تزخر بها المكتبات والمؤسسات البحثية، إلا أن ما يضيفي فرادة على عمله الجديد: «من تاريخنا معارك وقادة»، 9 أجزاء، بيروت 2015، هو أنه يجمع ما بين صفتين استهوتاه (علم التاريخ والعلم العسكري)، وطالما أهلتاه لتقديم أعمال تشد الباحث والقارئ إليها، وهما:

- كونه باحثاً لا يلتزم بعصر معين، فيؤرخ على مساحة عريضة تبدأ من التاريخ: القديم كـ «التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم»، إلى حقباته الوسيطة وإسهاماته الغنية فيها التي لا يمكن أن يتجاهلها باحث في التاريخ الوسيط والإسلامي، فإلى التاريخ المعاصر الذي له فيه جولات مشهودة. وليس كمؤرخ فحسب، بل يطل علينا سويد في بعض مؤلفاته مفكراً وصاحب نظرية وقضية. ومن هذه

الكتب على سبيل المثال: «نحو إستراتيجية جادة لعمل عربي موحد»، و«المسألة اللبنانية. نقد وتحليل»، و«في الدين والحرب والسياسة» الخ..

- وكونه عسكرياً متمرساً شغل مناصب قيادية في الجيش اللبناني في أخطر مراحل الصراع العربي - الإسرائيلي. فهو يدرك أهمية الفن العسكري، من تخطيط مسبق عالي المستوى في الحرب وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام إلخ.. فيتعاظم مع التاريخ من منظار بحثي إستراتيجي للوصول إلى الهدف المنشود، بعدما يوظف كل ما توافر له من معلومات، في الكتب والوثائق والمخطوطات والدوريات والصحف، حتى في القصاصات، فضلاً عن المشاهدات الشخصية والمقابلات، ومعرفته الواسعة بالفنون العسكرية. وقد استخدم اللواء سويد اللغتين العربية والفرنسية في كل أبحاثه كأداتي معرفة للوصول إلى كنوز المعلومات في لبنان والعالم العربي وفرنسا.

وفي موسوعته «من تاريخنا معارك وقادة»، لا يتخلى اللواء الدكتور سويد عن الصفتين المذكورتين. صحيح أنه قد يتبادر إلى ذهن البعض أن «الموسوعة» هي عمل بحثي عسكري فحسب، إلا أن الباحث يضيء بقوة على التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعوامل النفسية، ويدرك أن لا حرب تُخاض من أجل القتال، بل لتحقيق أهداف إستراتيجية سياسية وخلافها. كما أن لا معركة من دون قائد على رأسها. من هنا، جاء عمله الموسوعي متكاملًا يبحث في التاريخ، وفي الإستراتيجيات والفنون العسكرية والتخطيط للمعارك، وأيضاً في السياسات. ولا يكتفي اللواء سويد بذلك، بل يعتمد إلى وضع الخارطات العسكرية ليقدم للقارئ بانوراما لسير المعارك كي يعيشها بكل تفاصيلها، من مواقع الجيوش وتحركاتها وتكتيكاتها، ويقدم لنا استنتاجات قيمة للنتائج التي توصل إليها. وكل هذا يستند إلى كم من المصادر والمراجع التي تغني القارئ في الاستزادة.

قسم الباحث سويد موسوعته إلى قسمين، خصص ستة أجزاء منها للمعارك، وللقيادة 3 أجزاء، مستخدماً منهجية الترتيب ألفبائي والابتعاد عن تأريخ الحقب، تجعلان القارئ يعرّج على معارك في العصور القديمة، ثم ينتقل إلى معارك في العصور الوسطى، أو في العصر المعاصر أو بالعكس، وهو ما ينطبق على التأريخ للقيادة. إن التأريخ وفق هذه المنهجية، بمساحاته وساحاته الزمنية العريضة، من التأريخ القديم إلى التأريخ المعاصر، قد لا يستطيع مجرد باحث أن يخوض غماره. فهو يستوجب ويستلزم مخزوناً فكرياً وعلمياً ومعرفياً قد لا يتوافر في شخص واحد، ويحتاج لفريق بحثي متخصص. لكن سويد، يبرهن لنا، مرة أخرى، أنه، بشخصه، بمثابة فريق عمل بحثي متكامل ومتخصص (علم التاريخ، العلم العسكري، الفن العسكري، القائد الميداني، المراقب المعاصر للإحداث المفصلية إلخ..)، وإن اعتذر من القارئ سلفاً عن عدم وصول موسوعته إلى مستوى الكمال .

لقد نوهت بأن اللواء الدكتور قد وضع خارطات وبيانات تفصيلية للمعارك. لكن ما يؤسف له، أن هذا العمل الموسوعي الذي ينشره الباحث على نفقته الخاصة، لم يتضمن سوى خارطات وبيانات باللونين الأبيض والأسود، وكان الأجدى أن تكون ملونة. وبالطبع، لا يحمل اللواء سويد الذنب في ذلك، بل مؤسساتنا ومراكزنا البحثية التي لا تفكر في تبني أعمال جليظة، فيضطر الباحث ان يدفع من جيبيه الخاص، بعدما استنزف روحه وصحته وقلمه على مدى سنوات في العمل البحثي الجاد.

\* باحث ومؤرخ